قبسات من حياة أبي سمير
الشاعر والأديب
الحاج محمد بن حسين الشيخ علي الرمضان
بقلم الشاعر
الحاج حمد محمد الرمضان

الأديب الشاعر

الحاج محمد بن حسين الشيخ علي الرمضان

المقدمة

الحمد للّه رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين وآله الطيبين الطاهرين .

تفخر الأمم بمنجزاتها عبر سجل التاريخ ، والمنجزات تعكس مواهب وعلوم المبدعين من العلماء والأدباء فهم الفخر الحقيقي لأي أمة كانت ، لأنهم يسطرون الملاحم عبر إبداعاتهم فترى الأمم الغربية تفتخر بعلمائها وأدبائها وتكرمهم فتجعل لهم التماثيل في الميادين العامة ويخلدهم الفنانون في لوحاتهم وتطلق أسمائهم على قاعات الجامعات والمعاهد العلمية وتوضع جوائز سنوية قيمة بأسمائهم .

وسجل تاريخنا العربي مليء بالأفذاذ الذين أثروا المكتبات بملاحمهم وإبداعاتهم .

وإذا ذكر أبو سمير استيقظ في الأذهان علماء آل الرمضان وشعرائها وخطبائها ذكرى حافلة بالعطاء والإبداع ، فهو اليوم روح هذه العشيرة ونجمها المتألق في سماء الفكر والعرفان .وشاعرنا الفذ يمتاز بالنفس الصافية والشاعرية الخلابة والذوق الرفيع ، كما يمتاز بسرعة الخاطرة ، وحضور البديهة .

وهو إلى جانب كونه شاعراً موهوباً لا يشق له غبار فقد كان نسابة يتحلى بالحافظة والعمق ، طلق اللسان ، قوي المنطق ، تعيش القيم الأخلاقية في أعماقه صافية نقية . انه شاعرنا الأستاذ *محمد بن حسين بن محمد بن حسين بن الشيخ علي الرمضان* ينحدر من عائلة عربية لها مكانتها في المجتمع ، تصل جذورها إلى قبيلة خزاعة . وهذه القبيلة اتصفت بالعلماء والشعراء والخطباء على مدى الدهر ينتشر أفرادها في الأحساء ، والبحرين ، وقطر والإمارات وعمان والكويت والعراق والمحمرة .

نشأته

ولد شاعرنا بالأحساء سنة ١٣٥٠ هجرية الموافق سنة ١٩٣٠ ميلادية . تعلم أول أجزاء القران الكريم على يد المرحومة والدته ، ثم أتم بقية أجزاء القران الكريم على يد المرحوم والده .

وبعدها انتقل مع والده واخوته إلى البحرين حيث أدخل مع أخيه الحاج جعفر المدرسة الجعفرية وكان ذلك عام ١٣٥٨ هجرية حيث أمضى فيها مدة وجيزة حيث عادت بعدها الأسرة إلى الأحساء.

وبعد عودة الأسرة من البحرين إلى الأحساء لازم خاله الملا عيسى بن الشيخ علي آل موسى الرمضان ، وكان خطيباً حسينياً بارعاً عارفاً بفنون الشعر وبحوره ، فكان أستاذه ومعلمه . ثم التحق . بمدرسة محو الأمية التي أسسها الحاج معتوق بوحليقه والحاج عباس بن زيد بوحليقه وتعلم علي يديهما بعض مبادئ الخط العربي والحساب ، وقد أقفلت هذه المدرسة لقلة المنتسبين إليها.

وفي سنة ١٣٦٣ هـ رحل مع والدته وإخوانه عن طريق ميناء العقير إلى البحرين ومنها إلى الكويت ثم إلى العراق لزيارة العتبات المقدسة فأقام في الكاظمية عدة شهور وأثناء أقامته في العراق كان على صلة قوية بالحركة الأدبية ، وذلك لاهتمامه وشغفه بالكتب والمجلات الأدبية ومطالعته لها ولمعظم ما كان يصدر هناك .

وبعد أن علم بوفاة والده قطع أقامته في العـــراق ، وعـــاد إلى وطنـــه الأحساء ، وفيها أتصل ببعض المشايخ ولازمهم وأخذ منهم ، كمـــا أختلط بالأدباء والمفكرين فأكب على مطالعته للأدب والشعر قديمـــه وحديثه وساعده على ذلك شغفه وحبه وولعه بكتب الأدب .

فصقلته التجارب فأصبح شاعراً يمتاز برقة أسلوبه ، وســـلامة معانيـــة وجزالة لفظة ، فلا تجد في شعره تعقيداً ولا تكلفاً ، وعندما تسمع أو تقرأ شعره تشعر بأنك تنسلخ عن عالم الماديات وترتفع روحاً وفكـــراً في عالم الحب والولاء لأهل بيت العصمة عليهم الســـلام، وعنـــدما يحالفك الحظ وتجالس هذا الفذ تراه في هدوء وسكينة ، وتجده بعيـــدا كل البعد عن أدران المجتمع وضلالات المدنية وزحام المادة.

حياته الأدبية

بدأ شاعرنا نظم الشعر وهو إبن الرابعة عشر ونظراً لرغبته الشـــديدة وولعه البالغ في التعلم والمثابرة على الاطلاع على أساليب الشعر على اختلاف بحوره وأنفاسه وصيغه، إهتم بمطالعة ما يصدر مـــن كتـــب ومجلات ودوريات فكانت لديه مكتبة مكتظة بكتب التراث ودواوين الشعر والموسوعات العلمية والأدبية كما أهتم بالمجلات التي تصدر من القاهرة وبيروت كمجلة الرسالة والثقافة والمقتطف والأديب والآداب والعرفان وصوت البحرين وغيرها، ويعتبر شاعرنا كتـــاب "معاهـــد التنصيص على شواهد التلخيص " للكاتب الكبير عبد العظيم **العباسى** النقلة الأساسية والتحول الكبير في حياته الفكرية والأدبية لمحتواه مـــن علوم وإرشادات يحتاجها كل من أراد الخوض في بحور الشعر والأدب . ومن الكتب التي تركت بصماتها على أسلوبه أيضاً كتاب "أعاصير مغرب " للكاتب الكبير عباس محمود العقـــاد ، وكـــان للمجموعـــة الشعرية " الشوقيات " أثرها الكبير والبالغ على أسلوبه الأدبي وقصائده الشعرية.وشاعرنا شغوف بالتعلم وطرد الجهل الذي يعده نقصاً كبيراً .

فنراه يناجي نفسه في قوله :

نظرتُ إلى نفسي فأنكرتُ نقصها ... وهل كظلام الجهلِ للنفسِ من نقصِ
فقلت لها هيا إلى العلمِ إنه ... الكمال وما نيلُ الكمالِ بمستعصِ
فقالتْ و أي العلم تعني فإنه ... مناهج شتى لا أكاد لها أُحصِ
فقلتُ لها إن الفنون كثيرةٌ ... فإن شئتِ جمع الكل بالأدبِ أختصِ

عندما وجد أن الفنون الأدبية هي مرآة الوجود وأداة الإتصال بهذا الوجود ومن هذا المنطلق أُفتتن شاعرنا بفنون الأدب وجماله الخلاق .قد كان لضنك العيش وضيق ذات اليد والحياة القاسية التي كانت مخيمة على أهل الخليج بوجه عام أثره البالغ في نفس الشاعر فنراه في قصيدة أخرى يشكو حاله إلى نفسه إذ يقول :

إني عن العلمِ ضيقُ الحال قصر بي ... وبي إليه وإن طال المدى ولعُ
وفي الحجارة أنواعٌ إذا أُخذت ... بالصقلِ راحت إلى الأعناقِ ترتفعُ
ولو صقلْتُ بنورِ العلمِ موهبتي ... لأبدعتُ وبروحٍ منكَ تبتدعُ

ويمكن ملاحظة مدى الأسى والحزن الشديدين الذين عصرا قلب شاعرنا لضياع جل وقته في كسب العيش وتحصيل الرزق دوناً عن تحصيل غذاء روحه من الفنون الأدبية فتراه يخاطب نفسه في قناعتها إذ يقول :

قناعتي ما جلبت راحةً ... هيهات لا راحةَ في الدنيا
ولا تفرغتُ لنفسي ولا ... أكسبتُها شيئاً من الأشياء
ولم أزلْ في عملٍ دائبٍ ... يستنزفُ الجهدُ إلى الإعياء
شغلتُ بالقوتِ وتحصيلهِ ... كأنني من أجلهِ أحيا

وقال أيضاً :

أنـــا في هـــذه الحيـــاة كأنـــني ... غبتُ عنها فلي إليها اشتياقُ
شغـــلتـــني عـــن التأملِ فيـــها ... تكـــاليفـــها التي لا تطـــاقُ
ما نصـــيبي وكلُ وقـــتي لرِزقي ... من حيـــاتي لا كانتُ الأرزاقُ
وهمومُ الحياةِ ضربُ من السجنِ ... وفي السجـــنِ للوجودِ فراقُ

حقا أنه مصور بارع في استعراضه لنوازع نفسه وهمومه المعرفية، وتراه في مدائحه ، حيث قصيدته في حجه الإسلام السيد محمد بن الســـيد حسين آل على الموسوي في سنة ١٣٧٠ هـــ يقول :

فقلت اقتنع بالمدحِ مدحُ ذوي العلا ... فمدحُهُم يولِي العُلا منْ تَطَلَّبا
بَنِي المصْطَفى منْ أوجبَ اللهُ حُبُّهـــم ... عَلَينا ونِلْنا أجرَ ما كانَ أَوْجَبَا
لَنـــا مِـــنْهم والحمـــدُ للهِ قَـــــادةٌ ... كَبَتْـــنا بهم منْ كَادَنا وتَعَصَّبا

إلى أن يقول :

وقَدْ خُصَّ هذا العَصْر بمرشدٍ ... حَبَانا به الباري فَأَعْظِم بما حَبا
محمدٌ أزكى العالمـــينَ نقيبـــةً ... وأجدرُ منْ بالمكرَّماتِ تَجَلْبَبا

ومراثي شاعرنا مليئة بالتفجع والتحسر فهو يشرك من يقرؤها في لوعة المصاب فيجعله يحس ويتألم ، ويتجلى في هذا الفن مثل غيره **من** فنونه الشعرية الصادقة والإخلاص والعاطفة الجياشة ولنسمع رثاءه في حجة الإسلام السيد حسين ال علي الموسوي إذ يقول :

أَحُسَين مَهْلاً فالشَريعةُ أَصْبَحـــتْ ثَكَـــلى يَرُجُّ الخافِقَين بُكَاهـــا
أَحُسَين لو أَبْقَـــى فِراقُكَ مُهْـــجَة قُلْتُ الفِراقُ أَذابَها وَشَجَاهـــا
باللهِ يا مُفْتِي البـــلادُ يَـــدُ الرَدى لَـــمَا طَوَتك من الذي أَفْشاها
مِن لليَتَامَى يا مَسْكَن روعَـــهَـــا مِن للأرامل يا مُغيثَ نِداهَـــا

وتراه يرثى طفله الأول حسين فتلمس رقة عواطفه وعميق حزنـــه إذ يقول :

لله طَـــاقَـــةُ ريحـــــانٍ تَـــكْفـــلهـــا مِنَ النسيمِ وغَذَاها النَدَى سحـــرا
وبات يَتْحَـــفُـــهـــا لَيْـــلاء غَـــرَّتَـــهُ بَدْرُ السماءِ وراحَتُ تَشْكُرُ القَمَرا
كَأَنَهـــا وهَي فَوْق العُصْـــنِ جَامِعَـــة فاهـــا لِتلثم مَن رَوَى ومَن عمـــرا
حتى تَجات لـــدى الاشراف بَاسِمَـــة تَخْتَال في الروضِ لا صحوا ولا سكرا
فَقُلْتُ للصَحْـــبِ إذ قَامَـــت تَذْكُرُني عَهَدَ الحبيب فَهَاجَ الشوْقَ واستعرا
سلوا ابْنَةِ الروْضِ عَن قَلْبِ الحزين أمن خَد الحُسَين استعارت لَوْنها النضرا

حقاً لقد كان مراثيه كالجمر الملتهب تصوره وتستعرضه روحه **المتوثبة** في كل لوحة من روائعه ، وفي كل مقطع من قصائده . . . ومهمـــا أردنا أن نتحدث عن هذا الديوان الصغير بحجمه الكبير محتواه فأننـــا مقصرين لذلك اكتفينا بعرض بعض هذه الصور التي صورها بريشـــة قلمه فكانت الصور جمالية بارعة لواقع الحياة التي يحياها وذلك **لنظرته**

الصائبة التي مكنته من أن ينطلق في دراساته وبحوثه حول التاريخ وتاريخ الأنساب حتى أصبح مرجعا لدقته وحافظته القوية.

كما له اهتمامات كثيرة كدراسة عن الأمثال العامية في الأحساء وهو كتاب نفيس " أمثال وأقوال من عامية الأحساء" فهو أسبق من كتب في هذا الموضوع ، كما قام بشرح قصيدة الجد الشيخ محمد المعروفة بخير الوصية كما عمل بحثا شيقا عن تاريخ عشيرته آل رمضان وهو بعنوان ((التعريف بآل رمضان)) وشاعرنا يمتاز بالقدرة والتبصر فيما يراه و يعمله من تجاربه وذلك لسعة اطلاعه ، وتفهم أساليب الحياة التي مكنته من صياغة آرائه وأفكاره ، وكم كان موهوبا في تثقيفه لنفسه وإلمامه بكثير من المعارف مما جعله ذا إلمام بكل موضوع يفيض بالحديث عنه .

وقد أقام بالشام فترة طويلة أختلط بأدبائها وشعرائها فكانت لديه مكتبة زاخرة بالكتب ترك جلها بالشام .

وبعدما رجع إلى بلده واستقر بالدمام فاجأ الجميع بألوان جديده من قصائده ، ومنها القصائد السبع ، حيث بدأ أسلوبه يصفو ويتماسك حيث زاد أسلوبه صفاء وخياله اتساعها وذلك تجربه وجدانية خاصة لعبت دورا كبيرا في إنضاج شاعريته وقد نشرت قصائده الأثني عشر في مجلة الموسم العدد ٩ – ١٠الصادرة سنة ١٤١١ هـ ثم جاءت

قصيدته في ذكرى العلامة أية اللّه الشيخ محمد بن الشيخ حسين أبوخمسين قدس روحه .

فكان إستهلالاً رائعاً حافلاً بالنبضات الفنية ، حيث خاطب بها المشاعر والأحاسيس لفنه وبراعته .

أيُ غُبنٍ باءتُ بِهِ الأحْسَاء وهي الحَرَّة التي لا تُسَاءُ

يذكر النَخْلَ والتُمُور وتَنْسَى من بَنيها رِجَالُها العُظَمَاءُ

والبِلادِ الرجال لا الأرْض والزرع وإن فَاضَ خَيرُهَا والثراءُ

حتى قال :

فإذا فَاخَرت بِأهْرامِها مِصْر فَأهْرام أَرْضِنا العُلَمَاءُ

تُلْكُ عِنْدَ التحْقِيق أَكْوَام أَحْجَار وهذي فيها الهُدَى والعَطاءُ

حياته الإجتماعية: عمل فترة طويلة بالخياطة (خياطة البشوت) والآن لديه محل تجاري يزاول تجارة مستلزمات الخياطة بالدمام وقد تزوج بنت عمه وقد رزق منها بولدين حسين وقد توفاه الله صغيراً وسمير وهو من خيرة شبابنا وقد رزقه الله أولاداً صالحين.

فهذا شاعرنا الذي أمتاز بقصائده الرّنانه المعبرة، التي كان كثيراً من عشاقه يترقبونها في كل مناسبة، أو احتفال لمولد الصديقة الطاهرة الزهراء عليها السلام الجديد من روائعه العامرة بنفح الولاء يترقبونها ويتفاعلون معها أيما تفاعل لما فيها من قوة الشاعرية وصدق الولاء.

من ترجم له:-

شاعرنا أشهر من أن يعرَّف أو أن أوفيه حقه في هذه المقدمة الوجيزة ، فقد ترجم له أخيه وشقيقه الأستاذ الفذ البحاثة الموهوب الحاج جواد بن حسين الرمضان في كتابه " قلائد الجمان في تراجم أعلام آل رمضان " وفي كتابه " قلائد الدرر : .

((ومن شعراء وأدباء آل رمضان في الأحساء في أيامنا الحاضرة الأخ الفاضل والأديب الكامل والشاعر المتمرس المبدع القدير الحاج محمد **بن** الوالد المرحوم حسين بن محمد الشيخ علي آل رمضان ، أحد شعراء الأحساء البارزين ، وهو إلى جانب براعته في الشعر والأدب له اليد الطولى في النحو والصرف والبلاغة ، كما يعد حجةً ومرجعاً في تاريخ المنطقة السياسي والعلمي والأدبي وفي أنساب الحمائل والعائلات الأحسائية ، ولد في مدينة الهفوف سنة ١٣٥٠ هـ أدخل الكتاب في سن السابعة فتعلم قراءة القرآن الكريم، انتقلت عائلته إلى البحرين و**أقام** فيها فأدخل إحدى المدارس الابتدائية مع أخيه الأكبر الحاج جعفر) **عاد** بعدها إلى الأحساء فأكب على قراءة دووين الشعراء وكتب الأدب ، كما لازم بعض المشايخ والأدباء وأخذ عنهم ، كما أزداد شغفه بالقراءة حيث كثرت مطالعاته في الكتب والمجلات التي تصدر في القاهرة وبيروت وغيرها التي تهتم بالشعر والأدب والتراث مثل مجلة الرسالة والأديب والآداب وصوت البحرين وغيرها . .)).

وكتب عنه الأخ الأديب علي محمد المهدي في مجلة المواقف العدد ٩٧١ بعنوان "شخصيات من الخليج " وهو واحد من شعراء الأحساء أحب الشعر وأجاده ، لا يحمل شهادات دراسية عالية ، مهنته الأساسية خياطة البشوت والعبي لكنه كان يهوى الأدب ويشتاق لمجالسة أهل العلم والفكر فكيف لا يكون كذلك وهو ينحدر من أسرة عرفت بالأدب والعلم ونظم الشعر ، تخرج من مدرسة بطون الكتب الأدبية ودواوين الشعر العربي ، حيث كان من الملتزمين على المطالعة وحضور المجالس العلمية والأدبية ، وهو من الذين يحسنون الاستماع ويجيدونه))

وكتب عنه الأستاذ الأديب والبحاثة الفذ الشيخ موسى الهادي أبوخمسين في كتابه الجديد" محراب الشيخ محمد بن الشيخ حسين آل أبي خمسين" :

((هو الحفيد الثالث للمرحوم العلامة الشيخ على آل رمضان ولد في الهفوف تعلم القراءة والكتابة من خلال الكتاب وهو دون العاشرة فهو اليوم من أكبر شعراء الأحساء المعاصرين وهو الحاج محمد بن المرحوم الحاج حسين الرمضان المعروف بولائياته الكثيرة وبقصائده الجميلة التي تغنى فيها بأمجاد موطنه الأحساء معدداً الجواهر الأنسية التي تزين تاج الفخار الذي أزدان به جبين بلده وأمته)).

إهداء

كم يسعدنا ونحن نقوم بتكريمه والإحتفال به رائداً وشاعراً وكاتباً و باحثاً في الأدب والتاريخ.

أن نهدي الى القارئ العزيز هذه الكراسة والتي تضم بين دفتيها نبذة مختصره عن حياة الشاعر وعن بعض قصائده وأدبياته .

راجين من المولى القدير لكم بالفائدة ولشاعرنا وأديبنا بالعزة والكرامة وطول العمر .

مجلس عشيرة الرمضان